

الفصل الثالث

مشكلة ترتيب الألفاظ في معاجم العربية بين القديم والحديث

التيسير بترتيب الألفاظ على نطق أوائلها بين الأصول التراثية والدرس اللغوي الحديث

د.أحمد إبراهيم هندي داود(*)

مقدمة

يهدف هذا البحث إلى بيان مناهج التأليف المعجمي في العربية منذ نشأته حتى الآن بوصفه علماً أخذ يتطور على أيدى المعجميين العرب بحثاً عن أفضل منهج يتم من خلاله ترتيب مفردات العربية والعرض لها، كما يهدف إلى بيان الأصول التراثية لما شاع من الترتيب على أوائل نطق المفردات دون النظر إلى الأصالة والزيادة في بعض المعاجم في القرن العشرين. ومن هنا تناول البحث النقاط التالية:

* نشأة النشاط المعجمي في العربية – كغيره من العلوم – نشأة ترمى إلى خدمة النص القرآنى والحديث النبوى وما دار حول هذين الأصلين من علوم، تلك النشأة التي ترجو الحفاظ على العربية بوصفها الوعاء الذي ينقل منهج الله إلى البشرية. ممثلاً في الأصلين السابقين وما دار حولهما من علوم.

* أبرز البحث مناهج ترتيب الألفاظ في معاجمنا القديمة فهى تنقسم إلى قسمين:

أ- معاجم الترتيب الموضوعى كالغريب المصنَّف لأبى عبيد القاسم بن سلام والمخصص لابن سيدة.

ب- معاجم الألفاظ وقد اتخذت سبيلين في ترتيبها لألفاظ العربية ومفرداتها هما:



(*) الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية ـ بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس.

١ـ معاجم الترتيب على مخارج أصوات العربية من الحلق إلى الشفتين مع الأخذ بنظام التقاليب والأبنية. وأبرز هذا النوع معجم " العين " للخليل بن أحمد الفراهيدى ومن تابعه.

٢ـ معاجم الترتيب الجذرى الألفبائى وهى تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: معاجم الترتيب الجذرى على الأصل الأخير بوصفه باباً ثم الأصل الأول بوصفه فصلاً مع مراعاة ما يليه. ومن أبرز هذا النوع " لسان العرب " لابن منظور، و " القاموس المحيط " للفيروزبادى. وقد عُرف هذا النظام بمدرسة القافية.

ثانيهما: معاجم الترتيب الجذرى الألفبائى التي اتخذت من الأصل الأول باباً ثم الأصل الثاني فصلاً مع مراعاة ما يليه. ومن أبْرز معاجم هذا الضرب " أساس البلاغة " للزمخشرى، و " المصباح المنير " للفيومى.

* عرض البحث لأهم عيوب المعاجم القديمة التي حاول المعجميون المحدثون التخلص منها في العصر الحديث.

* برز في التأليف المعجمي في العصر الحديث اتجاهان تبنى أحدهما طريقة الترتيب الجذرى الألفبائى على الأصل الأول ثم الثاني مع مراعاة ما يليه وهى طريقة الزمخشرى في الأساس نظراً لسهولة هذه الطريقة. وعلى هذا النهج جاءت معاجم الآباء اليسوعيين وكذلك جاءت الجهود المعجمية للألفاظ اللغوية بمجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجميه: المعجم الوسيط والمعجم الوجيز وفيما يوالى إكمال إخراجه من " المعجم الكبير " فقد أخرج منه ستة مجلدات حتى الآن.

وأما الاتجاه الثاني الذي برز في العصر الحديث فقد رتَّب المادة اللغوية على أوائل ما يُنطق من الألفاظ بصرف النظر عن الأصالة والزيادة. وقد ظهر هذا الاتجاه على استحياء في بداية القرن العشرين ثم انزوى ليعود بقوة في بداية النصف الثاني منه. ومن هنا عرض البحث في هذا المحور منه للنقاط التالية:

أولاً: المعاجم التي ظهرت حديثاً واتخذت من الترتيب النطقى سبيلاً إلى ترتيب المادة اللغوية.

ثانياً: سبب ظهور هذا النوع من المعاجم.



ثالثاً: الأصول التراثية للترتيب النطقى الواقعى في تراث العربية.

ثم جاءت خاتمة البحث لتبرز أهم النتائج التي توصلتُ إليها.

أولى الإنسانُ اللغة اهتماماً بالغاً ضمن منظومة العلوم التي حظيتْ بالدراسة والمتابعة على مرِّ العصور. وكان من نتيجة هذا الاهتمام دراسة اللغة في جوانبها المختلفة، والعربُ من بنى البشر قد حَظِيَتْ لغتهم بتلك الرعاية والاهتمام، فدرسوها في جوانبها المختلفة، درسوها على مستوىَ الصوت فكانت بحوثهم لأصوات العربية، مخارجها وصفاتها وما ينتابها. ودرسوها على مستوى الكلمة فكانت جهودهم فيما يُعْرَف بالدراسات الصرفية. ودرسوها على مستوى التركيب والجملة، فكانت جهودهم فيما يُعْرَف بالدراسات النحوية. ودرسوها على مستوى الدلالة والمعنى، فكانت جهودهم فيما يُعرف بالمعاجم وأنواعها المختلفة.

ولقد نشأت دراسة اللغة في جوانبها المختلفة خدمة للنصِّ القرآنى والحديث النبوى الشريف ولما دار حول هذين الأصلين من علوم، بوصف العربية وعاءً ينقل إلى الناس منهج الله تعالى، بوصفه المنهج الخاتم والأخير للبشرية من الله تعالى، لتصحَّ مسيرتُها في الحياة الدنيا، وتستقيم أمورها في الآخرة يوم يجمع اللهُ الناس ليوم لا ريب فيه للجزاء والحساب والثواب والعقاب.

ونظراً لاتساع دولة الإسلام ودخول غير العرب في دين الله، بدأت تظهر حاجة الناس إلى العربية من ناحية ومن ناحية أخرى بدأ شيءٌ من اللَّحْن يدبُّ على ألسنة المتحدثين بها لمخالطتهم غير العرب، ومن هنا نشطتْ دراسة اللغة في جوانبها المختلفة، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، نشاطاً ملموساً آتى أُكُلَه وأثمر ثمرته.

ولقد كان من جوانب الدراسة لهذه اللغة الشريفة دراسة مفرداتها وتفسير غريبها. تمثل ذلك فيما صنعه عبد الله بن عباس – رضى الله عنه – فقد كان يُفَسِّر غريب القرآن مستعيناً على ذلك بالشعر، إذ الشعرُ ديوان العرب كما يقولون. وما سؤلات نافع بن الأزرق ونجدة بن عُويمر له عن حروف في كتاب الله فسَّرها لهم مستشهداً على المعانى بما ورد من ذلك في شعر العرب – إلا بداية لدرس جديد يُعَدُّ أساساً للعمل المعجمي في العربية. (انظر: فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب ص ١٠٩، ١١٠، والمهارات اللغوية ص ٢٠٥).



تلا ذلك العملَ ظهورُ الرسائل اللغوية المفردة التي جمعها اللغويون العرب الأوائل في موضوعات مختلفة كالرسائل التي أُلِّفتْ في الخيل والشاء والوحوش والنبات والمطر والإبل وخلق الإنسان والشجر والنوادر في اللغة وغير ذلك، كتلك الرسائل التي ألَّفها الأصمعي وابن الأعرابي وقطرب وأبو زيد الأنصاري والفرَّاء وغيرهم. (انظر فصول في فقه العربية، ص٢٣٠ وما بعدها، والمهارات اللغوية ص٢٠٧، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص ١٧ - ٢٤).

ولقد كانت هذه الرسائل خير مُعين لعلماء العربية على حشد مفرداتها والعرض لها في مؤلفات اتخذت مناهج مختلفة في حشد هذه المفردات في تلك المؤلفات التي عُرفت بالمعاجم العربية.

فمن تلك المؤلفات ما اتَّخذَ من " المعنى " أو " الموضوع " وسيلة للعرض لمفردات العربية وبعض تراكيبها وهى تلك المعاجم التي اتبعت نظام الترتيب الموضوعى.

وأشمل وأقدم أمثلة هذا النوع من معاجم الترتيب الموضوعى " الغريب المُصنَّف " لأبى عُبيد القاسم بن سلام المتوفَّى ٢٢٤ هـ. فقد ضمَّ هذا المعجم خمسة وعشرين كتاباً، يحتوى كل كتاب منها على عدد من الأبواب، وقد بلغت جملة الأبواب في الغريب المصنَّف ٩٠٠ باب، توزَّعتْ على خمسة وعشرين كتاباً – كما سبق القول. وهى: (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٥٩، الغريب المصنف ١/ ١٢٩، ١٣٠):

١ـ كتاب خلق الإنسان.
٢ـ كتاب النساء.
٣ـ كتاب اللباس.
٤ـ كتاب الأطعمة.
٥ـ كتاب الأمراض.
٦ـ كتاب الدور والأرضين.
٧ـ كتاب الخيل.
٨ـ كتاب السلاح.
٩ـ كتاب الطيور والهوام.
١٠ـ كتاب الأوانى والقدور.
١١ـ كتاب الجبال.
١٢ـ كتاب الشجر والنبات.
١٣ـ كتاب المياه والقنى.
١٤ـ كتاب النخل.
١٥ـ كتاب السحاب والأمطار.
١٦ـ كتاب الأزمنة والرياح.
١٧ـ كتاب أمثلة الأسماء.
١٨ـ كتاب أمثلة الأفعال.
١٩ـ كتاب الأضداد.
٢٠ـ كتاب الأسماء المختلفة للشيئ الواحد.
٢١ـ كتاب الإبل.
٢٢ـ كتاب الغنم.
٢٣ـ كتاب الوحوش.
٢٤ـ كتاب السباع.
٢٥ـ كتاب الأجناس.



وقد جاء على هذا النوع من معاجم الترتيب الموضوعى كتبٌ منها: الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى المتوفَّى ٣٢٠ هـ، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر المتوفَّى ٣٣٧هـ، ومُتخيَّر الألفاظ لأبى الحسين أحمد بن فارس المتوفَّى ٣٩٥هـ، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبى هلال العسكرى المتوفَّى ٣٩٥هـ، ومبادئ اللغة لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافى المتوفَّى ٤٢١هـ، وفقه اللغة وسر العربية لأبى منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبى المتوفَّى ٤٢٩هـ، والمخصص في اللغة لأبى الحسن على بن سيدة الأندلس، ويُعَدُّ هذا الكتاب أضخم معاجم التأليف الموضوعى في العربية وأهمها. وكتاب " المتحفِّظ ونهاية المتلفِّظ من اللغة وغريب الكلام " لأبى اسحاق إبراهيم ابن إسماعيل المعروف بابن الأجدابى المتوفَّى في حدود ٦٠٠هـ. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٦٠ – ٢٦٧، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص١٨).

ومن الملاحظ على هذا النوع من المعاجم أنه يفيد الكاتب والأديب شاعراً كان أو ناثراً فإنه يمدُّه ويزوِّدُه بمفردات تتقاربُ معانيها أو تترادف، كما أنه يمدُّه بثروة هائلة من التراكيب التي شاع استعمالُها على ألسنة الأُدباء والبلغاء.

غير أنَّ هذا النوع من المعاجم لا يُسعف الباحث في الوقوع على طلبته بسهولة ويسر، إذ عليه أن يُعْمِل حدسه لاختيار المجال الدلالى الذي تندرج تحته المفردة أو التركيب الذي يبحث عنه، وقد يعثر على ما يريد في مكانه وقد لا يعثر عليه بعد بذل جهد وطول بحث.

ومن الأمثلة التي نختارُها لهذا النوع من معاجم الترتيب الموضوعى ما جاء في كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبى ج١/ ٢٣٢: " فصل في الكِبْر وترتيب أوصافه ":

" رجلٌ مُعْجَبٌ ثم تائهٌ ثم مَزْهُوٌ ومَنْخُوٌ، من الزَّهْو والنخوة. ثم باذخٌ، من البَذَخ. ثم أصيَدٌ: إذا كان لا يلتفتُ يُمنةً ويَسْرةً من كِبْره، ثم مُتَغطرف، إذا تشبَّه بالغطارفة كبراً، ثم مُتَغَطْرِسٌ: إذا زاد على ذلك ".

ومن المعاجم ما اتخذ من مخارج الأصوات وسيلة إلى ترتيب مفردات اللغة. وأقدمُ معجم وصل إلينا مما جاء على هذا النحو هو كتاب " العين " للخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفَّى ١٧٥هـ. فقد رتَّب معجمه المسمَّى بالعين على مخارج الأصوات من أقصى الحلق إلى الشفتين على النحو التالى:

الأصوات الحنجرية وهى: ع ح هـ خ غ.

ثم ما كان لهوياً طبقياً وهو: القاف والكاف.

ثم ما كان غارياً وهو: ج ش ض.

ثم ما كان أسنانياً لثوياً وهو: ص س ز ط د ت.

ثم ما كان أسنانياً وهو: ظ ذ ث.

ثم ما كان لثوياً وهو: ر ل ن.

ثم ما كان أسنانياً شفوياً وهو: الفاء.

ثم ما كان شفوياً وهو: ب م و ا ى. (انظر: كتاب العين للخليل ١/ ٢٩ وفصول في فقه العربية ص٢٦٧، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ٣٢، ٣٣، والمعاجم العربية دراسة تحليلية ص٢٧، والعجم العربي نشأته وتطوره ج١/ ٢١٩، ٢٢٠).

وقد جمع أحد الشعراء ترتيب مخارج أصوات كتاب العين في أوائل كلمات الأبيات التالية: (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٦٨):

عن حزن هجر خريدة غناجة قلبى كواه جوى شديدُ ضرار
صحبى سيبتدئون زجرى طَلَباً دَهْشى تطلّب ظالمٍ ذى ثار
رغماً لدى نُصْحى فؤادى بالهوى مُتَلَهِّبٌ وذوى الملام يمارى

وتحت كل حرف من هذه الحروف التي رتَّب الخليل معجمه عليها يتَّبع الخليل تقسيماً معيناً، فهو يُقسِّم المادة تحت كل حرف إلى أبنية ثنائية وثلاثية وأبنية رباعية وأبنية خماسية. ويُعْملُ في كل بناء من هذه الأبنية " نظام التقاليب " فالثنائى يُنتجُ بناءين، والثلاثى يُنْتج ستة أبنية، والرباعى يُنتج أربعة وعشرين بناءً، والخماسى يُنتج مائة وعشرين بناء، بحسب الأصول المكونة لكل مادة من مواد هذه الأبنية. وما يعرض له الخليل من تقاليب مادة فهو المستعمل منها وأما الصور الممكنة الأخرى لتقاليب المادة والعرب لا يستعملونها فإن الخليل يُهملها ولا يعرض لها. (انظر: المعاجم العربية دراسة تحليلية ص٢٣، ٢٤، وفصول في فقه العربية ص٢٦٨، ٢٦٩، والمهارات اللغوية ص٢٠٨، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٠، والمعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ٢٢١، ٢٢٢، ٢٤٦).

ويمكن للباحث أن يقع على الكلمة التي يريدها بأن يرتب أصولها بحسب أسبقها مخرجاً من الحلق إلى الشفتين، فما كان أسبق هذه الحروف مخرجاً فهو مظنة وجودها في كتاب الخليل. ومعنى ذلك أنه لا يعرض لتقاليب مادة سبق أن عرض لها في أحد أصولها باعتباره أسبق مخرجاً. فـ "عرج" و "عرف" و "طعم" نجدها في باب العين في بناء الثلاثي الصحيح. و " سمح " و " رجح " نجدها في باب الحاء في بناء الثلاثي الصحيح، وهكذا (انظر: كتاب العين ١/ ٢٩، ٣٠).

وقد تأثر بطريقة الخليل في ترتيب مفردات اللغة على مخارج الأصوات من الحلق إلى الشفتين كل من: أبى منصور عُمر بن أحمد الأزهرى المتوفَّى ٣٧٠هـ في " تهذيب اللغة ". وأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيدة الأندلس المتوفَّى ٤٥٨هـ في " المحكم والمحيط الأعظم " وأبى على إسماعيل بن القاسم القالى المتوفَّى ٣٥٦هـ في " البارع في اللغة "، والصاحب أبى القاسم بن عيَّاد المتوفَّى ٣٥٨هـ في " المحيط في اللغة " (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٢٩، ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٧٩، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص٣٩ وما بعدها، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٢٧، والمعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ٣١٥، ٣١٧، ٣٣٥، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٧٢، ٣٧٣).

****

ونظراً لصعوبة الوصول إلى المراد في هذا الصنف من المعاجم فقد حاول بعض اللغويين أن يُرتِّب مفردات اللغة على صورة أسهل وأيسر، وقد اتخذوا من الترتيب الألفبائى للحروف وسيلة إلى ذلك.

فمن اللغويين من رتَب المادة اللغوية على حسب أوائل أصولها ومنهم من رتَّب المادة اللغوية على حسب الأصل الأخير منها. على تفاصيل تتباين في كل لون من هذين الضربين.

فأما المعاجم التي رُتِّبت فيها المادة بحسب الأصل الأخير مع مراعاة الأصل الأول فالثانى، فما بعده من الحروف فمنها " ديوان الأدب في بيان لغة العرب " لإسحاق بن إبراهيم الفارابى المتوفَّى ٣٥٠هـ فقد راعى الأصل الأخير ثم الأول مع الثاني في كل كتاب من الكتب الستة التي انقسم إليها المعجم وهى: كتاب السالم وكتاب المضاعف وكتاب المثال وكتاب ذوات الثلاثة وهو الأجوف وكتاب ذوات الأربعة وهو الناقص وكتاب

الهمزة. وكل كتاب من هذه الكتب الستة ينقسم إلى قسمين: أولهما خاص بالأسماء، وثانيهما خاص بالأفعال. وكل قسم من هذين القسمين ينقسم إلى أبواب على أساس الأبنية. ولا يفوتنا أن ننبه على أن نظام القافية هذا راعى فيه الفارابى الترتيب الألفبائى. ونظام هذا المعجم معقد الترتيب يحتاج إلى الصبر وكثرة المران حتى يقع الباحث على طلبته. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٧٤، ٢٧٥، والمعاجم العربية دراسة تحليلية ص٨٧، ٨٨).

ويبدو أن رائد هذا الضرب من الترتيب على نظام القافية على حسب الأصل الأخير بوصفه باباً - هو أبو بشر اليمان بن أبى اليمان (٢٠٠هـ ـ ٢٨٤هـ) في معجمه "التقفية". (انظر: المهارات اللغوية ص٢٠٩).

ومن معاجم هذا الضرب "تاج اللغة وصحاح العربية" لأبى نصر إسماعيل بن حماد النيسابورى المعروف بالجوهرى المتوفَّى حوالي سنة ٣٩٨هـ أو ٤٠٠هـ. ويبدو أنه قد تأثر في ترتيب معجمه ببوادر هذا النوع من الترتيب من كتاب خاله الفارابى في ديوان الأدب، وإن كان قد ادَّعى أنَّه ابتكر هذا الترتيب على نظام لم يسبق إليه. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٨٠، ٢٨١، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص٨٢، ٨٣، والمعجم العربي نشأته وتطورهُ ٢/ ٤٨٦، ٤٨٧، والمعاجم العربية دراسة تحليلية ص٨١، ٨٢، ٨٧، ٩١، ٩٢، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٣٢).

وعلى نظام القافية من الترتيب للمادة اللغوية جاءت مختارات أبى بكر بن عبد القادر الرازى المتوفَّى سنة ٦٩١هـ ـ من الصحاح، وقد سمَّاها "مختار الصحاح في اللغة" وهو ما هذَّبه بعد ذلك الأستاذ محمود خاطر وأعاد ترتيبه ترتيباً ألفبائياً على حسب الأصل الأول مع مراعاة الأصل الثاني والثالث. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٨١، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٥٠٤ - ٥٠٧، والمعاجم العربية دراسة تحليلية ص٩٥، ١٠٠، ١٠١).

وعلى نمط الصحاح في ترتيب المادة اللغوية كذلك - جاء معجم "العباب الزاخر واللباب الفاخر" لأبى الفضائل رضى الدين الحسن بن محمد الصاغانى المتوفَّى ٦٥٠هـ. ولم يتمه فقد وافته المنية بعد أن قطع الشوط الأكبر من رحلته اللغوية في تأليفه حتى وصل إلى مادة "بكم". (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٨٤، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٥٣٠، ٥٣٤، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٣٢).

وللصاغاني كذلك كتاب " التكملة والذيل والصلة " لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. حاول فيه أن يجمع ما أهمله الجوهري في صحاحه. وقد سار فيه على ترتيب الجوهري وتقسيماته. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٥١٢، ٥١٣).

وعلى الصحاح كذلك جاء كتاب " التنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح " المشهور بحواشي ابن بري، ابتدأه ابن القطاع وتُوُفي عام ٥١٥هـ فأخذ تلميذُه عبدُ الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري ما كتبه أستاذُه وبنى عليه وأكمله حتى بلغ مادة "وقش" وتوفي عام ٥٧٢هـ أو ٥٨٢هـ. وأكمله بعدهما عبد الله بن محمد الأنصاري البسطي في شهور سنة ٦٢٢هـ. (المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٥٢٠).

وقد ظهر بعد ذلك معجمان طبَّقت شهرتهما الآفاق، رُتِّبت فيهما المادة اللغوية على أساس الأصل الأخير مع مراعاة الأصل الأول مع ما يليه، أحدهما " لسان العرب " لابن منظور الإفريقي، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المتوفى ٧١١هـ. وثانيهما " القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط " تأليف أبي الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم مجد الدين الشيرازي الفيروزبادي المتوفَّى سنة ٨١٧هـ. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٨٤، ٢٨٦، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢ / ٥٤٤، ٥٧٥ وما بعدها، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص٩٦، ٩٧، ١١، والمعاجم العربية دراسة تحليلية ص١٠٧، ١٠٨، ١٢٣، ١٢٤، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٣٢، ٣٣).

ونظراً لما تميَّز به القاموس المحيط للفيروزبادي من الإحاطة والشمول مع الاختصار الشديد ولقيمته العلمية، فقد أقبل عليه اللغويون يشرحونه ويفسرونه، وكان من أهم هذه الجهود الشارحة المفسرة له " تاج العروس في شرح جواهر القاموس " لأبي الفيض السيد محمد بن محمد بن عبد الرازق مرتضى الزَّبيدي المتوفَّى ١٢٠٥هـ وهو على نهج القاموس من حيث ترتيب المادة اللغوية. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٨٦، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٦٣٩، ٦٤٧، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٣٤).

وقد ظهر معجمان للسيد محمد بن حسين بن علي المتوفَّى ٨٦٦هـ، أحدهما " الجامع " والآخر " الراموز " فأما الجامع فقد صنعه نظراً لأنه استطال ما في الصحاح من أمثال وشواهد وأنساب واستقلَّ ما في مختارات الرازي وخاصة أنه ترك بعض الأمور اللغوية

اللازمة، فأراد أن يأتي بالمختار ويضيف إليه ما أهمله صاحبُه فوضع كتابه " الجامع " الذي أتمَّه عام ٨٥٤هـ. وأما " الراموز " فقد وضعه لعلاج ما في الصحاح من تصحيف وأوهام وما شاع من ذلك. وسار فيه على نهج القاموس المحيط. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٥٠٨).

****

ومن المعاجم ما اتخذ من الترتيب الألفبائى للحروف وسيلة إلى ترتيب المادة اللغوية على أساس الأصل الأول بوصفه باباً، مع الأصل الثاني بوصفه فصلاً مع مراعاة ما يليه.

يصادفنا من بدايات هذا النوع " كتاب الجيم " لأبى عمرو اسحاق بن مرار الشيبانى التوفَّى ٢٠٦هـ. غير أنه قسَّم كتابه إلى أبواب قصر كل باب منها على حرف واحد من حروف الهجاء يجعله للأصل الأول الذي يبدأُ به اللفظ فالباب الأول للألف والثانى للباء والثالث للتاء وهكذا إلى آخر الترتيب الألفبائى المألوف لنا. ولا يتبع أبو عمرو ترتيباً داخلياً لكل باب، بل يملؤه بالمفردات المبدوءة بهذا الحرف. وعلى المرء أن يقرأ الباب من أوله إلى آخره حتى يقع على اللفظ الذي يبحث عنه. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٧١، ٢٧٢، والمعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ٨٠، والمهارات اللغوية ٢٠٨، ٢٠٩).

ومن هذا النوع معجم " شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلُوم " لنشوان بن سعيد الحميرى المتوفَّى ٥٧٣هـ. وقد رتَّبه صاحبُه على حروف المعجم وجعل لكل حرف من حروف المعجم كتاباً ثم جعل له ولكل حرف معه من حروف المعجم باباً، ثم جعل لكل باب من تلك الأبواب شطرين: أحدهما للأسماء والآخر للأفعال، مقدماً الأصلى على المزيد. بالإضافة إلى نظام داخلى معقد، تأثر فيه بنظام الأبنية من كتاب العين للخليل بن أحمد. ولهذا التعقيد في منهجه لم يجد من يتأثر به ممن جاء بعده أو من يتبع نظامه. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٨٣).

ومن هذا النوع كذلك كتاب " الجمهرة في اللغة " لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى المتوفَّى ٣٢١هـ. فقد رتَّب المادة اللغوية فيه على الترتيب الهجائى المعروف لنا بحسب أسبق الحروف وروداً في الترتيب الألفبائى، فكلمة "سند" يبحث فيها مثلاً في " د س ن". لكنه تأثر بنظام الأبنية فقسَّم الحرف إلى الثنائى والثلاثى والرباعى ومضعف الرباعى والمعتل والصحيح، واتبع في كل ذلك طريقة التقاليب متأثراً في كل ذلك بالخليل

ابن أحمد في كتابه " العين " ، مما صعَّب على الباحثين الوقوع على ما يطلبون في هذا المعجم، مما دفع ناشر الجمهرة إلى فهرسة مفرداتها حتى يمكن الانتفاع به بصورة أفضل وأسهل. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٧٣ ، ٢٧٤ ، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢ / ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٣٠ ، والمعاجم العربية دراسة تحليلية ص٥٦ - ٥٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨١).

ومن هذا النوع الذي رُتِّبت فيه المادة اللغوية على الترتيب الأبجدى معجم "مجمل اللغة" لأبى الحسين أحمد بن زكريا بن فارس اللغوي المتوفَّى ٣٩٥هـ. وقد رتَّب ابن فارس المادة في مجمله ترتيباً أبجدياً على حسب الأصل الأول مع الأصل الثاني والثالث. وقد ألَّف معجماً آخر سمَّاه " مقاييس اللغة " وقد جاء على ترتيب المجمل ونظامه، وهو أوسع وأشمل وأجمع من المجمل. وقد تميَّز عنه بفكرتين جديدتين في التأليف المعجمي هما فكرتا الأصول والنحت. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٧٩ ، ٢٨٠ ، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٤٦٨ ، ٤٣٦ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٣١ ، ٣٢).

ومن هذه المعاجم كذلك معجم " أساس البلاغة " لجار الله أبى القاسم محمد بن عمر ابن محمد الخوارزمى، الزمخشرى المتوفَّى ٥٣٨هـ. وهو المعجم الذي نال شهرة طبَّقت الآفاق، بما سهَّله من منهج ترتيبه لمفردات اللغة من ناحية، فقد رتَّب المادة اللغوية فيه على أساس الأصل الأول للكلمة مع مراعاة الأصل الثاني والثالث والرابع إن وُجد، ومن ناحية أخرى بما اهتم فيه بدلالة الألفاظ، فقد سعى إلى بيان دلالة الكلمات من ناحية المعانى الحقيقية والمجازية. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٦٩١ - ٦٩٣ ، وفصول في فقه العربية ص٢٨٢ ، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص١٢٢ ، ١٢٣ ، والمعاجم العربية دراسة تحليلية ص١٤٢ ، ١٥٥).

ويذهب بعض الباحثين إلى أن أول من ابتدع طريقة الترتيب على أصول الكلمة بحسب أصلها الأول مع مراعاة الثاني والثالث هو أبو المعالى محمد بن تميم البرمكى التي ٤٣٣هـ الذي تناول معجم الصحاح ورتَّبه على حروف الألفباء وزاد فيه أشياء قليلة على عكس الشائع من أن الزمخشرى هو صاحب هذا الترتيب ورأس تلك المدرسة. (انظر: معجمات العربية د. عبد الحليم ص١٢١).

ويذكر الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار أنَّه شاهد بنفسه قطعة من كتاب البرمكي في مائة ورقة بالمكتبة الخاصة بإبراهيم حمدى الخربوطلى أمين مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله بالمدينة المنورة، ووجده على ترتيب المعجمات الحديثة. (انظر : معجمات العربية د. عبد الحليم ص١٢١ نقلاً عن مقدمة الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ص٨٩، ١٠٤ – ١٠٥).

وبهذا يتضح خطأ قول من قال: " ويعتبر معجم أساس البلاغة للزمخشرى (٤٦٧ – ٥٣٨هـ) أول معجم يتبع هذا النظام في ترتيب مواده " بعد أن قال عن هذا الترتيب إنه " هو الترتيب الألفبائى الجذرى وفقاً للحرف الأول مع مراعاة الحرف الثاني والثالث " . (انظر : رسالة المعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٣٤).

وعلى هذا النوع من الترتيب جاء " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير " للفيومى، أبى العباس أحمد بن محمد المقرئ. (انظر : فصول في فقه العربية ص٢٨٥ ، والمعاجم العربية دراسة تحليلية ص١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص١٢٩ ، ١٣٠).

هذا، وقد سبقت الإشارة إلى أن الأستاذ محمود خاطر أعاد ترتيب " مختار الصحاح " على نظام مدرسة الزمخشرى في ترتيبه المفردات في أساس البلاغة.

وقبل أن أنتقل إلى التأليف المعجمي في العصر الحديث أود أن أشير إلى أن بعض العلماء قد لاحظ من دراسة المعاجم القديمة مجموعة من العيوب شكا منها الناشئة وطلاب العلم بعد شيوع التعليم في العصر الحديث، وخاصة بعد اطلاع بعضهم على معاجم لغات الغرب وما تتميز به من سهولة ويسر واقتصاد في الوقت والجهد في الوصول إلى اللفظ المطلوب ومن هنا راح بعض هؤلاء اللغويين المحدثين يُعَدِّدون هذه العيوب بغية تلافيها عند التأليف المعجمي في العربية. وأبرزها ما يلى: (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٤٧ وما بعدها، وفصول في فقه العربية ٢٨٦ وما بعدها، ورسالة المعاجم العربية الحديثة ص٣٧ وما بعدها).

١ـ توقف حركة الجمع اللغوي بعد فترة معينة. تلك التي جمع فيها الرعيل الأول من اللغويين مادتهم، واقتصر جهد العلماء بعد ذلك على تبويب هذه المادة وعرضها بطرق مختلفة من أول الخليل إلى الزَّبيدى شارح القاموس المحيط. وبذلك أهملوا جانباً

مهماً من جوانب الدراسة اللغوية ألا وهو ما يُصيب اللغة من تطور في جوانبها المختلفة في نواحى الأصوات والبنية والدلالة والأسلوب وبذلك أهمل اللغويون التطور التاريخى الذي يطرأ على اللغة في جوانبها المختلفة. (انظر: فصول في فقه العربية ص ٢٨٦).

٢ـ أن المادة اللغوية التي حوتها معاجم العربية قد أصابها شيء من التصحيف والتحريف، بسبب كثرة تعاور النساخ لها على مرِّ العصور. ويعود ذلك إلى طبيعة الكتابة العربية التي لا تبيِّن نطق الحروف التي ترسمها وتحتاج إلى إشارات مضافة لإبانة ذلك النطق. وقد يُغفل تلك الإشارات بعض المؤلفين، أو تقع في غير موقعها أو يهملها الكاتب مما يتسبَّب في الخطأ، حتى جاء أبو على القالى في البارع فضبط ألفاظه بالعبارة وإن أهمل سُنَّته من جاء بعده حتى أحياها صاحب القاموس المحيط. ولا يخفى ما تركه تشابهُ مجموعات من الحروف في الصورة، تفترق عن بعضها بالنقط من أثر عظيم في تصحيف كثير من المفردات، حتى قيل إنه لم يسلم من التصحيف عالمٌ. (انظر: فصول في فقه العربية ٢٨٨، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٤٧، ٧٤٨).

٣ـ ويلحق بالتصحيف والتحريف " المصنوع " فقد وضع بعض العلماء ألفاظاً لا أصل لها، حباً في الشهرة والتكثير. واشتهر ذلك عن أبى عمر الزاهد وصاعد اللغوي. وقديماً قال الخليل: " إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب، إرادة اللبس والتعنيت ". والمصنوع أخف خطراً وأقل وزناً من المصحَّف والمحرَّف لقلته وقد كان بعضه رمياً بلا دليل. (المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٤٩).

٤ـ ومن عيوب معاجمنا القديمة: قصورها في الاستدلال على المعنى بالشواهد أحياناً، رغم غناها بالشواهد الشعرية والنثرية. ومع ذلك ففيها بعض المواد التي وردت ولا شواهد عليها من نحو " كمثل " و"كمتل" و " كندش " و " كندس " مما يُشكك في صحة ورودها عن العرب. ولعل العلاج الأمثل لذلك إنما يكون بعمل معجم لغوى من واقع نصوص العربية شعرها ونثرها. (فصول في فقه العربية ٢٨٧).

٥ـ ومن عيوب معاجمنا العربية القديمة كذلك عدم تحديد الغرض من المعجم فالمفترض في كل معجم أن يستهدف فئة معينة يُؤلَّف من أجلها وأن يكون مناسباً لها. لكن معاجمنا اللغوية القديمة كان هدف مؤلفيها جمع المادة اللغوية على حالها، واضحها وغريبها،

نادرها ولغاتها بالإضافة إلى حشد معارف العرب وثقافتهم في تلك المعاجم، مما أدَّى إلى امتلاء المعاجم بهذا الخليط غير المتجانس من أسماء الأعلام والأماكن وبعض القصص والمفردات الطبية والاصطلاحات، بالإضافة إلى معاني الكلمات واشتقاقاتها. ولو حدَّد أصحاب المعاجم الهدف من المعجم مراعين نوعية مستخدميه لسلمت معاجمنا من هذه الآفة. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٥٠، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٣٨، ٣٩).

٦ـ ومن عيوبها كذلك: القصور في جمع المادة اللغوية. فبالرغم من اجتهاد مؤلفى معاجم العربية في جمع اللغة، فإنها قاصرة وليس فيها إلى اليوم ما هو جامع بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، ولأصحاب المعاجم الأولى عذرهم لقلة المراجع بين أيديهم وحداثة عهدهم بهذا النوع من التأليف. وأما المعاجم المتأخرة فقد اقتصر كل معجم منها على عدد من المراجع. ومما يتصل بهذا العيب كذلك أنهم نظروا إلى اللغة نظرة ناقدة لا جامعة مما فوَّت الفرصة لتسجيل كثير مما أنتجته النقلة الحضارية أيام العباسيين ومن تلاهم. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٥١ – ٧٥٤، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٣٩، ٤٠).

٧ـ ومن عيوب معاجمنا العربية المتأخرة: ذلك التضخم الذي نراه في لسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزَّبيدى. ولعل السر في ذلك يرجع إلى تكرار المادة الواحدة بنقلها من أكثر من مرجع. فلسان العرب مثلاً ينقل عن تهذيب اللغة للأزهرى والمحكم لابن سيدة والصحاح للجوهرى، وكل واحد منها استخدم بعض المصادر التي استخدمها الآخر، كالغريب المصنَّف لأبى عُبيد القاسم بن سلام مثلاً، لذا نجد عباراته قد نُقلت في لسان العرب ثلاث مرات نقلاً عن المصادر السابقة. (انظر: فصول في فقه العربية ص٢٨٧).

٨ـ ومما يعيب معاجمنا كذلك: الاضطراب في عرض المادة اللغوية وعدم المنهجية الواضحة الدقيقة في ترتيب مفردات المادة الواحدة. فلم يُراع مؤلفو المعاجم ترتيب المعانى وفقاً لأهميتها أو لقربها من ذهن المستخدم وعدم مراعاة المعانى الحسية والمجازية. كما شاع الاضطراب كذلك في ترتيب الصيغ والمشتقات، مما يُلْجئُ مستعمل المعجم إلى قراءة المادة من أولها إلى آخرها حتى يعثر على طلبته في وسط تفصيلات كثيرة امتلأت بها المادة اللغوية، فيلزمك أن تقرأ عشر صفحات مثلاً لتبحث عن " معرفة الفرس " في

مادة "عرف" . (انظر : فصول في فقه العربية ص٢٨٨ ، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٤٧) .

٩ـ ومن عيوب معاجمنا كذلك ما يُلحظ من سوء التفسير وغموضه في كثير من الأحيان . فأصحاب المعاجم لا يلتزمون أن يوضحوا أبواب الفعل ومصادره والمتعدى واللازم والمفرد وجمعه إلخ . . . وقد يفسرون اللفظ بلفظ غامض أو أقلّ دوراناً على ألسنتهم من اللفظ المفسَّر وقد يكتفون بقولهم معروف ، مع أنّ المعرفة أمرٌ نسبى وتختلف من عصر إلى عصر . والتزام منهج صارم دقيق محدد يقى من هذه المآخذ . (انظر : المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص٤١ ، ٤٢) .

١٠ـ ومن عيوب معاجمنا العربية كذلك أنها تخلط كثيراً بين مستوى العربية الفصحى واللهجات القديمة ، في اللفظ والدلالة ، بلا إشارة أحياناً ، فتذكر مثلاً أن السراط والصراط والزراط بمعنى الطريق . ويذكرون لكلمة " العجوز " مثلاً أكثر من سبعين معنى ، يصعب تخيلُ أن تكون كلها مستعملة في الفصح . (انظر : فصول في فقه العربية ص٢٨٨) .

١١ـ ومن الأمور التي تُعاب بها معاجمنا العربية كذلك خلوُّها من المقارنات باللغات السامية الأخرى ، إذ في ذلك ما يقود إلى توضيح كثير مما يبدو شاذاً في العربية عند النظر إليه مقترناً بنظيره في أخوات العربية من الساميات . وهو أمرٌ يلفت النظر ، فقد كانت تلك الساميات معروفة عند بعض لغويى العرب . (انظر : فصول في فقه العربية ص ٢٨٧) .

١٢ـ ومن عيوبها كذلك تلك المفارقات الواضحة بين المدارس المعجمية في العربية مع شيء غير قليل من التعقيد في بعض نظمها كنظام المخارج مع الأخذ بنظام الأبنية والتقاليب على نحو ما في " العين " للخليل بن أحمد أو أصلها الأخير مع الأبنية على نحو ما في ديوان الأدب للفارابى ، مما عوّق كثيراً من صغار طلاب العلم عن الانتفاع المباشر ببعض هذه المعاجم .

وبعد هذه الجولة التي طالت بعض الشيء في بيان عيوب معاجمنا العربية فإنه يمكننا التغلب عليها إذا أعدنا النظر فيها مرة أخرى ، فصفيناها من الحشوْ والتكرار وفصلنا بين

مستوى الفصحى واللهجات في الألفاظ والمدلولات، ورتَّبنا كلمات المادة الواحدة فيها ترتيباً منهجياً دقيقاً، وخلَّصنا المادة اللغوية مما لحقها من تحريف أو تصحيف أو مصنوع لم يجر على ألسنة العرب القدماء، مع تحديد الفئة التي يستهدفها المعجم ليكون مناسباً لها. كل ذلك على نظام تُرتب فيه المادة اللغوية وفقاً لأوائل أصولها علاجاً لاختلاف مناهج المعجميين العرب في ترتيب المفردات في مؤلفاتهم. (انظر: فصول في فقه العربية ص ٢٨٨).

****

مما سبق عرضه عن كيفيات ترتيب المادة اللغوية في معاجم العربية، يتضح أنَّ أقرب هذه الكيفيات وأسهلها هي طريقة الترتيب الألفبائي الجذري على أساس الأصل الأول للمادة اللغوية بوصفه باباً مع مراعاة الأصل الثاني بوصفه فصلاً، مع مراعاة الأصل الثالث كذلك. تلك الطريقة التي اشتهر بها الزمخشري في معجمه أساس البلاغة ومَنْ تابعه على هذا المنهج.

وإذا تذكرنا عيوب التأليف المعجمي في العربية في معاجمنا القديمة والمتأخرة أدركنا أن حركة التأليف المعجمي في العصر الحديث مالت إلى معالجة تلك العيوب وإلى التيسير في المنهج المعتمد في ترتيب المادة اللغوية في هذه المعاجم. ومن هنا يمكن أن نرصد اتجاهين بارزين في حركة التأليف المعجمي ابتداءً من القرن العشرين هدفهما التيسير على مستخدمي هذه المعاجم.

أول هذين الاتجاهين: اتخذ من الترتيب الألفبائي لأصول المادة على أساس أوائلها على نحو ما نجده في منهج أساس البلاغة، وسيلة إلى ترتيب المادة اللغوية في التأليف المعجمي الحديث، مع ضروب أخرى من التيسير والتدقيق.

وثاني هذين الاتجاهين: رتَّب المادة اللغوية على أساس أول ما ينطق من اللفظ بصرف النظر عن الأصالة والزيادة، إمعاناً في مراعاة التيسير على مستخدمي هذا النوع من المعاجم ويمكن أن نطلق عليها " مدرسة الترتيب النطقي ".

فأمَّا الاتجاه الأول: وهو الذي اعتمد طريقة الزمخشري في الأساس في ترتيب المادة اللغوية في التأليف المعجمي الحديث وعليها جاءت معاجم الآباء اليسوعيين، فقد بدأ هذا الاتجاه مبكراً إلى حد ما. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخرج لنا بطرس

البستاني معجمه " محيط المحيط " بين عامي ١٨٦٦م و ١٨٦٩م. ثم اختصر هذا المعجم وسمَّاه " قطر المحيط " وأخرجه للطلبة خاصة عام ١٨٦٩م. ومؤلف هذين المعجمين يستهدف الطلبة خاصة بغية رجوعهم إلى المادة اللغوية في سهولة ويسر. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧١١، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص١٣٥).

وعلى هذا الترتيب جاء معجم " أقرب الموارد في فُصح العربية والشوارد " لسعيد الخورى الشرتونى عام ١٨٨٩م. وقد هدف صاحبه من تأليفه هذا المعجم التيسير على مستخدميه وتوفير الوقت والجهد، مع تدقيق النظر في المواد اللغوية التي حواها المعجم. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧١٦، ٧١٧، والمعاجم العربية دراسة تحليلية ص ١٧٥، ١٧٨).

وعلى هذا النحو كذلك جاء " معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية " عام ١٩٠٧م ألَّفه جرجس همام الشويرى وهو كما يبدو من عنوانه له اهتمام خاص بتفسير المصطلحات العلمية للطلاب.

وعلى هذا النهج من التأليف المعجمي جاءنا معجم " المنجد " في عام ١٩٠٨م للأب لويس معلوف المتوفَّى ١٩٤٦م. وقد كان تتلمُذه على المعاجم القديمة ثم صلته بالدراسات الأوروبية الحديثة مُعيناً له على تكوين منهاج يسير عليه، فقد اهتم بالقديم فأكثر فيه من الرجوع إلى التاج وأضاف إليه تنظيم المحدثين ورسومهم، بالإضافة إلى غرض تربوي سعى من أجله إلى تهذيب المادة اللغوية وتنقيتها مما يمسُّ حرمة الآداب من الكلمات البذيئة التي لا يضر جهلُها وقلما أفاد العلم بها. (انظر: المعاجم العربية دراسة تحليلية ص١٨٧، ١٨٨، والمهارات اللغوية ص٢١٢، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٢٤).

وعلى هذا النهج كذلك جاء معجم " المعتمد فيما يحتاج إليه المتأدبون والمنشئون من متن اللغة العربية " عام ١٩٢٧م لصاحبه جرجى شاهين عطية، مع شيء من التطوير والعناية الزائدة في عرض المادة العلمية. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٢٤).

وعلى هذا النهج كذلك خرج إلى النور في عام ١٩٣٠م معجم " البستان " في مجلدين كبيرين لعبد الله البستاني اختصر فيه " محيط المحيط " لبطرس البستاني مع شيء من الحذف والتنسيق والتسهيل. وقد اختصره مؤلفه عبد الله البستاني فأخرجه في مجلد واحد سمَّاه "

فاكهة البستان " استهدف بهذا المختصر الطلبة خاصة، ففيه ما يفى بحاجة الطلاب. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٢٦، ٧٢٧).

ومما يلاحظ على تلك المعاجم اليسوعية كلها أنها ذات صبغة خاصة فقد صنعت أساساً للطلاب وأنها ذات ترتيب جيد استوعب أصول المادة اللغوية كلها من الأصل الأول إلى الأصل الأخير تيسيراً على مستخدميها. يُضاف إلى ذلك شيء من الاختصار في حذف غير اللغويات كالأعلام والبقاع وتقليل الاستشهاد واستخدام الرموز، مع العناية بالمصطلحات العلمية والعامي والمولد، على اختلاف بينها في الدرجة، وإن كان يؤخذ عليها وقوع بعض التصحيف والخطأ في التفسير وعدمه أحياناً وسوء عبارته والخطأ في ضبط بعض الألفاظ والإتيان بمعان لم ينص عليها القدماء، وليس أدل على صدق ذلك من تنبيهات اليازجي على محيط البستّاني. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٢٨ – ٧٣١).

ولا يفوتنا ونحن نتكلم عن النشاط المعجمي في العصر الحديث أن نذكر جهود مجمع اللغة القاهري فقد أخرج معجمات لغوية تتناسب مع أعمار وثقافات من تقدَّم لهم. فها هو قد أخرج ستة أجزاء من المعجم الكبير، ذلك الذي ابتدأه المستشرق " أوجست فيشر " بوضع منهجه وجمع له مادة غزيرة، وهو معجم معنىٌ بتتبع تاريخ الكلمة وبيان تطور استعمالها وتطور دلالتها مبتدئاً بكتابة النقوش حتى نهاية القرن الثالث الهجري. ويُعنى هذا المعجم بتناول الكلمات الموجودة في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والأمثال والمؤلفات التاريخية، وقد سار هذا المعجم على نظام أساس البلاغة في ترتيب المواد اللغوية باعتبار الأصل الأول باباً ثم الأصل الثاني فصلاً مع مراعاة الأصل الثالث فما بعده. مع دقة عرض الكلمات داخل كل جذر لغوى. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٣٣ – ٧٤٠).

والأمل معقود على المجمع في أن يتم إخراج هذا المعجم ليكون عوناً للباحثين على تتبع تاريخ اللفظ وتتبع استعماله وتطور دلالته.

هذا وقد أخرج المجمع اللغوي بالقاهرة معجماً سمّاه " المعجم الوسيط " في مجلدين، على نمط عصري جيد أفاد فيه من تقدم صناعة المعجم، فجاء على حظ كبير من التنظيم والتيسير ودقة الترتيب مع كمال الجمع إلى حد كبير. فصار بذلك مرجعاً للطالب والكاتب والدارس المثقف. ومنهج المعجم الوسيط هو منهج أساس البلاغة مع دقة التنسيق والعرض

كما سبق القول. ويشتمل على نحو ثلاثين ألف كلمة وستمائة صورة مع اهتمام كبير بالمصطلحات والحديث من الألفاظ التي أقرها المجمع ويقع فى مجلدين كبيرين يحتويان على نحو ١٢٠٠ صفحة في صفحة ثلاثة أعمدة. (انظر: المعجم الوسيط ص١١، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٢/ ٧٤٠ – ٧٤٢، ومعجمات العربية مادتها ومناهجها د. عيد الطيب ص٤٣٠ وما بعدها).

هذا وقد أسعف المجمع اللغوي بالقاهرة بإخراجه " المعجم الوجيز " طلاب المرحلة الإعدادية، إذ جاء المعجم الوسيط أعلى مستوى من مستوى أبناء هذه المرحلة لسعة مادته واشتمالها على ما لا يهم أبناء هذه المرحلة فضلاً عن صعوبة اصطحابه. وقد اختيرت مادة " المعجم الوجيز " من " المعجم الوسيط " اختياراً دقيقاً رُوْعي فيه ما يناسب أبناء هذه المرحلة، وقد بلغ مجموع مواده حوالي خمسة آلاف مادة. وهو مرتب على نسق المعجم الوسيط من حيث المنهج وعرض المادة. (انظر: معجمات العربية مادتها ومناهجها د. عيد الطيب ص٤٤٦ وما بعدها).

أما الاتجاه الثاني الذي ظهر في القرن العشرين في التأليف المعجمي فقد رتّب المادة اللغوية بحسب أوائلها نطقاً بصرف النظر عن الأصالة والزيادة.

وتحت هذا الاتجاه أراني في حاجة إلى مناقشة النقاط التالية:

أولاً: تتبع المعاجم التي ظهرت على هذا الترتيب بحسب تواريخ ظهورها.

ثانياً: سبب ظهور هذا الضرب من المعاجم.

ثالثاً: الأصول التراثية لهذا الضرب من الترتيب في تراث العربية.

****

أولاً: المعاجم التي ظهرت حديثاً واتخذت من الترتيب النطقي وسيلة إلى ترتيب المادة اللغوية:

أول ما يصادفنا من ذلك ترتيب " القاموس المحيط " و" لسان العرب " على الحروف الهجائية بحسب أوائل نطق الكلمات دون تجريد المواد والرجوع بها إلى الأصل وذلك على يد الشيخ محمد البخاري المصري في عام ١٩١٤م على نسق ترتيب الكفوي للكليات والجرجاني للتعريفات. (انظر: المعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص١٧٠ عن المعاجم اللغوية بدايتها وتطورها لإميل يعقوب ص١٦٤).

وعلى هذا النسق كذلك جاء ترتيب " القاموس المحيط " للأستاذ طاهر الزاوى في عام ١٩٥٩م . فقد أعاد ترتيب القاموس على أوائل نطق الكلمات دون النظر إلى الأصالة والزيادة فقسَّمه إلى ثمانية وعشرين باباً على عدد حروف الهجاء جاعلاً أول حرف من الكلمة باباً مع مراعاة ما يليه في ترتيب الفصول مع إهمال حروف المد، لكونها في حقيقتها ناشئة عن تطويل الحركة. (انظر : المعاجم العربية دراسة تحليلية ص٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، والمهارات اللغوية ص٢١٣).

وفى عام ١٩٦٣م أخرج الشيخ عبد الله العلايلي الجزء الأول من معجمه " المرجع " وهو معجم لغوى وسيط علمي وفني مرتب وفق المفرد بحسب لفظه تيسيراً على الباحثين وعلاجاً لما وقع من عيوب في المعاجم العربية القديمة – فيما يرى مؤلفه . قال مبرراً عمله هذا : " ليس محافظةً التقليدُ مع الخطأ ، وليس خروجاً التصحيحُ الذي يحقق المعرفة" . (انظر : رسالة المعاجم العربية الحديثة ص١٣٩ نقلاً عن مقدمة المرجع ص هـ).

ونظراً لأن الشيخ العلايلي رأى أن الترتيب على النطق يؤدى إلى تفسخ أفراد المادة اللغوية الواحدة وتبعثرها في أكثر من موضع ، فقد ذكر تصاريف المادة مرتين مرة تحت جذرها الذي تنتمي إليه بالاشتقاق دون أن يذكر معناها ، ومرة أخرى باعتبار لفظها مع ذكر معناها . (انظر : معجمات العربية د. عيد الطيب ص٤٦٧).

وطبقاً للترتيب النطقي للألفاظ يمكننا أن نتصور أنه سيعالج المفردات التي تبدأ بالهمزة تحت باب الهمزة ، والتي تبدأ بالباء تحت باب الباء ، والتي تبدأ بالتاء تحت باب التاء وهكذا . فقد عالج فقد عالج مثلاً تحت باب التاء المفردات التالية : تأثر وتأثّم وتأثيث وتأثيل وتأجيل وتأخر وتأخير وتأديب وتأدية وتأسيس وتأكيد وتألق وتأله وتأليف وتأمل وتأمين وتأنيب وتأجيل وتأبيد وتبجّح وتبتّل وتبختر إلخ . . . تلك الألفاظ التي عالجها تحت حرف التاء . (انظر : معجمات العربية د. عيد الطيب ص٤٧٦).

ومن تلك المعاجم المرتبة على أوائل نطق الألفاظ معجم " الرائد " لجبران مسعود جبران أخرجه عام ١٩٦٤م. وأراد به صاحبه أن يُحدث انقلاباً في المظهر بترتيب الألفاظ على أوائل نطقها دون مراعاة لزيادة أو أصالة ، لذلك تبحث عن " المدرسة " في باب الميم و " تدارس " في باب التاء و " درس " في باب الدال . كما أراد به صاحبه كذلك أن يُحدث تعديلاً في الجوهر بأن يُبْقى على المعانى المتوارثة مع تسهيل الشروح وتنظيم المعاني وإضافة

ما جدَّ من معان وألفاظ مستحدثة. (انظر: رسالة المعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص ١٤٥، وانظر كذلك: معجمات العربية د. عيد الطيب ص٤٧٨، ٤٧٩).

وفى عام ١٩٦٧م أخرج جبران مسعود جبران معجمه " رائد الطلاب " فقد رأى صاحبه أن يخص الطلاب بمعجم مستقل يفيد الطلاب في مراحلهم التعليمية الأولى، فصاحبُه أحد مدرسي الإرساليات المسيحية بلبنان، فأخرج معجمه هذا في جزء واحد رتَّب المادة فيه على أوائل نطق المفردات تيسيراً على الطلاب. (انظر: رسالة المعاجم العربية الحديثة ص١٥٤).

هذا وقد ظهرت ثلاثة معاجم مُسْتَلَّة من " المنجد " لصاحبه لويس معلوف فقد لُوحظ أنه يلائم الكبار والمتقدمين في المراحل التعليمية. ومن هنا استُلَّت ثلاثة معاجم منه رُتِّبتْ ترتيباً نطقياً صدرت ثلاثتها عن دار المشرق هي:

١. المنجد الأبجدي: صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٧م. ويقع في ١١٧٤ صفحة.
٢. منجد الطلاب: صدر سنة ١٩٦٨م ويقع في نحو ٩٥٣ صفحة. لمؤلفه د. فؤاد أفرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية ببيروت.
٣. المنجد الإعدادي صدر سنة ١٩٦٩م ويقع في نحو ٦٥٨ صفحة.

وثلاثة المعاجم هذه مرتبةٌ ترتيباً نطقياً مع النص على جذر الكلمة بجوار المادة المشروحة. (انظر: رسالة المعاجم العربية الحديثة ص١٦٠، ومعجمات العربية د. عبد الحليم ص١٩).

وفي عام ١٩٦٨م أخرج د. خليل الجر وآخرون " المعجم العربي الحديث لاروس " بعد أن أعلن عنه في عام ١٩٥٥م ثم تأخر ظهوره لظروف خاصة، وهو مرتب على أوائل المفردات نطقاً دون مراعاة للأصالة أو الزيادة. (انظر: رسالة المعاجم العربية الحديثة ص ١٦٩، ١٧٠).

وفي عام ١٩٩٩م ظهرت الطبعة الثانية من " المعجم الميسر "، للمدرسة والجامعة والمكتب والمنزل إعداد د. أحمد زكى بدوي وصديقة يوسف محمود، وهو معجم من القطع الصغير يقع في ٦٤٨ صفحة رُتب على أوائل نطق الكلمات أسوة بالمعاجم العالمية كما يقول مؤلفاه وتيسيراً على الطلاب. (انظر: رسالة المعاجم العربية الحديثة ص١٧٨).

وفي عام ١٩٩٧م أصدرت مؤسسة دار الراتب الجامعية ثلاثة معاجم مختلفة الأحجام، وهى معاجم مؤلفة للطلاب في مراحلهم التعليمية المختلفة. وهى:

١ـ معجم " الأداء " وهو من القطع الكبير ويقع في ٦٤٨ صفحة.

٢ـ معجم " الأسيل " من القطع المتوسط ويقع في ٨٠٢ صفحة.

٣ـ معجم " أبجد، القاموس العربي الصغير " وهو من القطع الصغير ويحتوى على ثلاثين ألف كلمة.

وفي عام ٢٠٠٠م أصدرت دار الراتب معجمين آخرين هما:

١ـ " المرام في المعاني والكلام " وهو من القطع المتوسط ويقع في ٩١٨ صفحة.

٢ـ " كلمن في المعاني والكلام " وهو من القطع الصغير ويقع في ٩١٨ صفحة.

ومعاجم مؤسسة الراتب هذه متشابهة في أمور كثير وكلها على الترتيب النطقي للألفاظ بحسب أوائلها نطقاً دون مراعاة لأصالة أو زيادة و " معجم الأداء " هو أكبرها وما عداه لا يعدو أن يكون اختصاراً له. (انظر: رسالة المعاجم العربية الحديثة ص١٨٥، ١٨٦).

****

ولم يقف الأمر عند معاجم اللغة في الترتيب على أوائل الألفاظ بصرف النظر عن الأصالة والزيادة، بل تجاوز ذلك فقد وجدنا عدداً من الكتب التي تعالج العامي والدخيل والمعرب ولحن العامة. وبعض المعاجم الاصطلاحية جاءت على هذا الترتيب النطقي.

فمن كتب العامي والدخيل والمعرب ولحن العامة: (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ١١٠ – ١١٤، ٧٥، ٧٦).

ـ الدليل إلى مرادف العامي والدخيل، ألَّفه رشيد عطية وطُبع عام ١٨٩٨م.

ـ ومعجم عطية في العامي والدخيل، لرشيد عطية صاحب الدليل، طُبع عام ١٩٤٤م.

ـ أصول الكلمات العامية لحسن توفيق ١٨٩٩م. وهو كتاب صغير الحجم وإن كان دقيقاً.

ـ رسالة الكلمات غير العربية الواقعة في القرآن الكريم، ظهرت عام ١٩٠٢م لمؤلفها الشيخ حمزة فتح الله. وقد استمد مادتها من معرب الجواليقي ومهذَّب السيوطي. وسار فيه على ترتيب المهذَّب وهو ترتيب نطقي على ما سيجيء بعدُ إن شاء الله.

ـ معجم الألفاظ الحديثة لمحمد دياب ألَّفه عام ١٩١٩م. وفيه عناية خاصة بالألفاظ الدخيلة ولم تظفر العامية فيه إلا بالقليل.

ـ وقد ألّف أحمد عيسى كتابه عام ١٩٣٩م ويقع في ٢٥٢ صفحة من القطع الكبير وهو أوسع من كتاب حسن توفيق " أصول الكلمات العامية ".

وقد جاءت بعض الرسائل في العامي والدخيل في العصر الحديث على الترتيب النطقي كذلك اتخذ أصحابها الجداول وسيلة ونظاماً لهم في ترتيب الكلمات جاعلين لكل حرف فصلاً، من ذلك: (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ١١٣ وما بعدها).

ـ كتاب الدرر السنية لحسين فتوح ومحمد على عبد الرحمن طُبع عام ١٩٠٨م.

ـ كتاب تهذيب العامي والمحرف لحسن على البدراوي. طُبع عام ١٩١٢م.

ـ كتاب كلمات عامية أو دخيلة وما يقابلها من الكلمات العربية الصحيحة لمعلمي اللغة العربية.

ـ " الخلاصة المرضية " لعبد الرءوف إبراهيم سيد وسيد على الألفي طُبع هذا الكتاب عام ١٩٢٢م.

ـ " قاموس العوام " لحليم دموس، طُبع عام ١٩٢٣م.

وقد شاع الترتيب على أوائل نطق الكلمات دون مراعاة للأصالة أو الزيادة في التأليف في معاجم المصطلحات في العصر الحديث. ويكفى أن نشير إلى أنه في حقل واحد هو حقل " المعاجم الأصولية " قد خرج إلى النور ستة معاجم على هذا الضرب من الترتيب ما بين عامي ١٩٩٦ و ٢٠٠٣م، هي بحسب ظهورها: (انظر: المعاجم الأصولية ص١٣٠).

١ـ القاموس القويم في اصطلاحات الأصوليين، د. محمد حامد عثمان طبعة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢ـ حول معجم مصطلحات أصول الفقه، د. محمد المختار ولد إباه، طبعة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣ـ موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، د. رفيق الفحم، طبعة ١٩٩٨م.

٤ـ معجم مصطلحات أصول الفقه، د. قطب مصطفى سانو، طبعة ٢٠٠٠م.

٥ـ التعريفات الأصولية في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، د. سليمان الرحيلي.

٦ـ معجم مصطلحات أصول الفقه، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.



وفى مجال الأدب والبلاغة على سبيل المثال لا الحصر، نجد المصطلحات البلاغية وتطورها د. أحمد مطلوب ١٩٨٧م. ومعجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب ١٩٨٩م.

ثانياً: سبب ظهور المعاجم اللغوية ذات الترتيب النطقي:

في أوائل القرن العشرين ظهرت بدايات التيسير في التأليف المعجمي بترتيب الألفاظ على واقعها النطقي من أوائلها بصرف النظر عن الأصالة والزيادة.

ففي عام ١٩١٤م يطالعنا الشيخ محمد البخاري المصري بإعادة ترتيب " لسان العرب " لابن منظور و " القاموس المحيط " للفيروزبادي ترتيباً نطقياً على أوائل الألفاظ دون تجريد المواد اللغوية. ثم انزوى هذا الاتجاه ليعود إلى الظهور بقوة في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين على يد اللغويين اللبنانيين. (انظر: المعاجم اللغوية العربية، بدايتها وتطورها لإميل يعقوب ص١٦٤ نقلاً عن رسالة المعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص ١٧٠).

وأصحاب هذا الاتجاه في الترتيب الواقعي النطقي طبقاً لأوائل الكلمات يُقررون أنهم إنما اختاروا هذا الضرب من الترتيب رغبة منهم في التيسير على الباحث في المعجم العربي عند البحث عن الكلمات التي اختلف العلماء في أصالة حروفها أو زيادتها. وكذلك التيسير على مستعمليها وخاصة أنَّ كثيراً منها مُعَدٌّ للطلاب في مراحلهم التعليمية الأولى، أو لعامة المستخدمين وهم في حاجة إلى شيء من التدريب والمران ليسهل عليهم الرجوع إلى المادة الأصلية للمفردات. فالتيسير والسرعة وحاجة الناس مع تراكم الأعمال وتشعب مناحي المعرفة وتضخم مشاغل العقل، كل ذلك مما أملى على مؤلفي هذه المعاجم اختيار هذا الضرب من الترتيب. (انظر: معجمات العربية د. عيد الطيب ص٤٦٠، والمعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص١٣٩، ١٤٥، ١٥٤، ١٦٠، والمعاجم الأصولية ص٨٦، ٨٧).

بل إن بعض الباحثين في حديثه عن ظهور هذا النوع من الترتيب النطقي في المعاجم الأصولية يجعله راجعاً إلى الإمعان في السهولة والتيسير على مستخدمي هذه المعاجم وهم من الأصوليين والفقهاء وأهل الجدل والمناظرة. وقد نصَّ هذا الباحث على أن السرَّ في ظهور هذا الترتيب راجع إذن إلى نوع من توفير الجهد والوقت الذي يستغرقه التجريد أو

طلب الأصول. (انظر: المعاجم الأصولية ص١٢٨، ١٢٩). بمعنى أننا إذا أردنا أن نكشف عن معنى مصطلح " الاستقامة " - مثلاً - فسيكون في باب الألف مع السين والتاء، مع أننا إذا جردنا الكلمة طبقاً لأصولها فإننا نذهب به إلى باب القاف، والأولُ أكثر سهولة ويسراً من الترتيب على الأصول بعد التجريد. (انظر: المعاجم الأصولية ص٨٦، ١٢٨، ١٢٩).

وبهذا أصبح ذلك الترتيب اتجاهاً عاماً فيما عُرِف أصله وما لم يُعْرَف. (انظر: معجمات العربية د. عيد الطيب ص٤٦٠).

ومن اللافت للنظر أن بعض أصحاب المعاجم اللغوية الحديثة ممنْ سار في ترتيب المادة اللغوية على الأصول يُرْجع ما أحدثه من إحكام الوضع ووضوح الدلالة ودقة الترتيب إلى مجاراته للمعجمات المدرسية في اللغات الأجنبية. كما نصَّ على ذلك صاحب المنجد من معاجم اليسوعيين. وقد أرجع د. حسين نصار ما تميَّزت به معاجمهم من خصائص إلى اتصال مدرستهم بالثقافة الغربية الاتصال الشديد. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٢ / ٧٢٩).

أما إذا جئنا إلى أصحاب الترتيب النطقي الواقعي للمفردات بحسب أوائلها بصرف النظر عن الأصالة والزيادة، فإننا سنجدهم ينصون صراحة على تأثرهم بالمعجمية الغربية في هذا الترتيب. فها هو الشيخ عبد الله العلايلي صاحب المرجع يُقَرِّر في مقدمته أنَّه اتبع " الطريقة الفرنجية في الترتيب ". (انظر: مقدمة المرجع ص (ح) نقلاً عن المعاجم العربية الحديثة لابتهال ص١٤).

ومن هنا وجدنا بعض الباحثين يُنَبِّه إلى اختلاف طبيعة العربية عن اللغات الأوربية، فالأولى لغة اشتقاقية يُناسبها الترتيب على الأصول على طريقة الزمخشري في الأساس، فقال: " . . . كما حاول بعضهم أن يفيد من المنهج المعجمي عند الفرنجة فيطبقه على اللغة العربية بالرغم من اختلاف طبيعة لغتنا عن طبيعة لغتهم ". (معجمات العربية د. عيد الطيب ص٤٦٠).

ومن هنا وصف معاجمهم بالمعاجم المتفرنجة نتيجة تأثرهم بالمنهج المعجمي الغربي. (انظر: معجمات العربية د. عيد الطيب ص٤٥٣).



وها هو د. أحمد زكي بدوي ينصُّ في مقدمة معجمه " المعجم الميسر " على أنَّ الكلمات رُتِّبت فيه وفقاً لحروفها الأولى دون حاجة إلى الرجوع إلى الأصول، وذلك أسوة بالمعاجم العالمية، وذلك تيسيراً للتلاميذ الذين لم يألفوا الميزان الصرفي وقواعدَ تعرُّف الحروف الأصول. (انظر: رسالة المعاجم العربية الحديثة لابتهال ص١٧٨).

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل كان هذا الاتجاه في الترتيب النطقي دون النظر إلى الأصالة والزيادة وليداً غريباً لا أصل له في تراث المعاجم العربية فنشأ متأثراً بالمنهج المعجمي في بلاد الغرب؟ أم أن هذا الاتجاه له جذوره وأصوله الضاربة في تراث العربية سار عليه أصحابه رغبة في التيسير والتسهيل وإن لم يَرُق لكثير من أحاب المعاجم السيرُ عليه، لأن العربية لغة اشتقاقية، وهذا الضرب من الترتيب يُفَرِّق أفراد المادة اللغوية الواحدة في عدة مواضع، أو قل يذهب بدم المادة الواحدة إلى أكثر من موضع؟

يرى د. عيد الطيب أن الاتجاه له جذوره الممتدة في قلب الحركة المعجمية العربية. ولكن أصحابه المحدثين أَبَوا إلاَّ أن يُسبغوا على صنيعهم ثوباً غربياً. (انظر معجمات العربية د. عيد الطيب ص٤٦٠). وسيتضح من هذه النقطة الثالثة – بعدُ صدق ما قال د. عيد محمد الطيب، تلك النقطة التي تفصِّل الأصول التراثية للترتيب النطقي في تراث العربية.

ثالثاً: الأصول التراثية للترتيب النطقي في تراث العربية:

أعلن مؤلفو " المعجم العربي الحديث لاروس " د. خليل الجر وآخرون الذي ظهر في عام ١٩٦٨م أن معجمهم هذا الذي رُتِّب ترتيباً نطقياً واقعياً كان أول محاولة من هذا النوع في العالم العربي مع أن الناظر في تراث العربية يجد أن العرب قد طرقوا هذا الضرب من الترتيب. فقد سار عليه قديماً أبو البقاء الكفوي المتوفَّى ١٥٨٢م في " الكليات " والجرجاني (١٣٤٠ – ١٤١٣م) في التعريفات وغيرهما. ولكن العربَ تجنَّبوه لأنه يَفْصم عُرى المادة اللغوية الواحدة ويُفَرِّقها في أكثر من موضع، فاختفى ثم ظهر مجدداً على يد الشيخ محمد البخاري المصري عام ١٩١٤م بإعادة ترتيبه لسان العرب والقاموس المحيط طبقاً للترتيب النطقي الواقعي ثم انزوى هذا الاتجاه مرة أخرى ليعود إلى الظهور بقوة في الستينيات من القرن العشرين على يد اللغويين اللبنانيين. (انظر: المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها د. إميل يعقوب ص١٦٤ نقلاً عن رسالة المعاجم العربية الحديثة إعداد ابتهال ص١٧٠).

وقد حاولت أن أتتبع المعاجم والكتب التي اتخذت من الترتيب النطقي الواقعي منهجاً لها في عرض مادتها اللغوية وترتيبها في تراث العربية، فوقع لي من ذلك كمٌّ غير قليل، يُمكن أن يُعَدَّ به هذا الاتجاه أصيلاً في حركة التأليف المعجمي اللغوي في تراث العربية. وإن لم يَرُق لكثير من المعجميين متابعة هذا الضرب من الترتيب للمادة اللغوية كما سبق بيانُه. لقد وقع لي نحو سبعة وعشرين كتاباً في تراث العربية أقدمها معجم " المنجد في اللغة "، وهو أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي في العربية لصاحبه أبى الحسن على بن الحسن الهُنائي المشهور بكُراع النمل المتوفَّى سنة ٣١٠هـ.

ويمكن أنْ نُصنِّف ما جاء من الكتب القديمة وقد رُتِّبتْ فيه المفردات على أوائل نطقها طبقاً للترتيب الألفبائي المعروف لنا؛ بصرف النظر عن الأصالة والزيادة إلى الأقسام التالية:

أولاً: معاجم اصطلاحية عامة: من هذا الصنف نُصادف ما يلي:

١ـ معجم التعريفات للسيد الشريف الجرجاني محمد بن على (٧٤٠ – ٨١٦هـ) وقد عالج فيه الجرجاني حوالي ١٦٤٧ مصطلحاً، رتَّبها على أوائل الكلمات نطقاً، وقد بناه على حروف المعجم تسهيلاً على مستخدميه. (انظر: التعريفات ص١٩، والمعاجم الأصولية ص٧٨، ٧٩، ١٢٨، ورسالة المعاجم العربية الحديثة ص١٤٠، والمعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ٥٦).

٢ـ التوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرءوف المناوي (٩٥٢ – ١٠٣١هـ) وقد بلغ عدد المصطلحات التي عالجها المناوي في هذا المعجم على الترتيب النطقي حوالي ٢٧٠٠ مصطلح، وقد رتَّب هذا المعجم كسابقه إمعاناً في التيسير على متعاطي العلوم، فلا يُكلَّفون تجريداً أو حذفاً للزيادات. (انظر: المعاجم الأصولية ص٨١، ٨٣).

٣ـ معجم " الكليات " وهو معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي المتوفَّى سنة ١٠٩٤هـ = ١٦٨٣هـ، وهو أضخم حجماً من المعجمين السابقين فهو خمسة أجزاء، وقد بلغ عدد الألفاظ التي عالجها هذا المعجم حوالي ٦٠٠٠ لفظة أو مصطلح. (انظر: المعاجم الأصولية ص٨٣).

بدأه بفصل الألف واستغرق هذا الفصل ٣٧٩ صفحة عالج فيها الألفاظ المبدوءة بالألف (الهمزة) فمما عالجه في هذا الفصل الألفاظ التالية: (انظر: الكليات القسم الأول ص٥ وما بعدها).

الألف – أبلج – الأب – الابن – الإبداع – الابتداء ـ الإبدال – الأبد – الإباحة – الإباق (أبق العبد) – الإبهام – الإبانة – الإبل – الأُبْلةُ (كالقَرْحة: الطلْبة والحاجة) – الإبلاغ – الإبرام – الابتهال– الإبار (أبر نخلَه) – الإبراء –الإبلاء – الإبادة – الإبلاس – الابتهاج – الابتلاء – الإبطال.

الإتيان –الإتباع – الاتحاد – الاتِّقاء – الاتِّكاء – الاستناد – الاتصال – الإثراء – الإتقان – اتخذ ـ أترف – أتراب.

أثبت – الإثبات – الأثاث – الأثر – الإثم – الأنام –الإثابة – الاثنان – الأَثْل – الأَثْمُد والإِثْمد – اثَّاقلتم – فأثرن به.

أجم – الإجمال – الإجماع – الاجتهاد – الأجر – الإجراء – الإجزاء – الاجتباء – الإجبار – الإجابة – الإجازة – أجمع – أجاء ـ اجنُبْنى (بَعِّدْنى). هذا شيئ مما عالجه فصل الهمزة من أوله.

وبالنظر في تلك الكلمات نجد أنه يرتبها ترتيباً نطقياً بحسب أوائلها نطقاً بصرف النظر عن الأصالة والزيادة. تسهيلاً على مستخدمى هذا المعجم.

ثانياً: معاجم اصطلاحية خاصة:

يصادفنا من هذا النوع معجم واحد هو " معجم لغات مختصر ابن الحاجب " لمحمد بن عبد السلام الأموي المكي من علماء القرن السابع الهجري توفى في سنة ٨٠٦هـ. وقد اتخذ مؤلفه كتاباً فقهياً هو مختصر ابن الحاجب عماداً له. وهو على الترتيب النطقي الواقعي للألفاظ بحسب أوائلها نطقاً بصرف النظر عن الأصالة والزيادة. (انظر: المعاجم الأصولية ص١٢٩، والمعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ٦٦ن ٦٧، ٦٩، وتراث المعاجم الفقهية ص ١٤٩).





ثالثاً: المعاجم الخاصة، وهى تلك المعاجم التي تهتم بنوع خاص من اللغة ويمكن أن نقسم ما صادفنا منها إلى الأقسام التالية:

أـ ما جاء في المشترك اللفظي:

يصادفنا من هذا النوع " المنجد في اللغة " وهو أقدم معجم شامل للمشترك اللفظى لأبى الحسن على ابن الحسن الهُنائى المشهور بكُراع النمل المتوفَّى سنة ٣١٠هـ.

كان كراع النمل قد ألَّف كتاباً سمَّاه " المنضد " واختصره في " المجرد " ثم اختصره في " المنجد " . والكتاب مكون من ستة أبواب جعل كل باب من الخمسة الأولى لعلاج موضوع معين، فالأول منها لأعضاء البدن من الرأس إلى القدم، والثاني لصنوف الحيوان، والثالث للطير، والرابع للسلاح وما قاربه، والخامس للسماء وما يليها. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ٢٠٩، والمنجد لكراع النمل من ص٢٩ – ١٠٦).

وأما الباب السادس فهو للأرض وما عليها، فقد جعله على حروف المعجم وقد رتَّب فيه الألفاظ على نطقها بدون تجريد. وقد استغرق هذا الباب معظم الكتاب فعلى حين جاءت الخمسة الأبواب الأولى في ٧٧ صفحة نجد الباب السادس قد استغرق ٢٥٧ صفحة، وقسَّمه إلى ثمانية وعشرين فصلاً، بدأه بفصل للألف ثم بفصل للباء ثم بفصل للتاء إلى آخر فصل جعله للياء. وقد رتَّب الألفاظ داخل كل فصْل على حسب أوائل نطقها دون حاجة إلى الرجوع بالمادة إلى الأصل وحذف الزوائد. (انظر: المنجد لكراع النمل من ص١٠٧ – ٣٦٢).

ففي فصل الألف من باب الأرض وما عليها نجده قد عالج الألفاظ التالية:

الأرض – الآل – آمر – الأبد – أبدع – الإبرة – إبريق – الأبيض – الأعمى – الأثرمان (الليل والنهار) الأجذم – أجلاد الرجل (جسمه) – أحبّ البعيرُ إحباباً (الإحباب في الإبل كالحران في الخيل) – الإحريض – أحرم فهو محرم – أخلص – أخلف – أخنى – أرمل – الأزبُّ – (الكثير الشعر) – الإزار – الاستدرار – استدام – استمال – الاستنجاء – أضاف – اضرَّ – الاطلاع – الاعتمار – اعذر – الإعذار –. . . (انظر: المنجد لكراع النمل ص ١٠٧ – ١٢٧).



وفي فصل التاء عالج الألفاظ التالية: التأويل – التاج – التّبنى – التبلُّد – التحيُّر – تدثَّر بثوبه – تروَّح الرجلُ – الترعة (مسيل الماء) الترويق للماء والشراب (تصفيتُه) – التزيد – تصديتُ – التضريب – التطريح – تعادى القوم – التعقُّد ـ التفكُّهُ – التكفير – التلُّ – تلوت القرآن – تمهَّل – التمعُّط – التمنى (القراءة) تنحَّى – التوجُّه. (انظر: المنجد لكراع النمل ص١٤٨ – ١٥٦).

بـ ـ ما جاء في المعَرَّب والدخيل: يصادفنا من هذا النوع الكتب التالية:

١ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبى منصور الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد الخصر (٤٦٥ – ٥٤٠هـ).

٢ـ التذييل والتكميلَ لما استعمل من اللفظ الدخيل لعبد الله بن محمد العذري المعروف بالشبيشي (٧٦٢ – ٨٢٠هـ).

٣ـ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرَّب للسيوطي المتوفَّى ٩١١هـ.

٤ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المتوفِّى ١٠٦١هـ.

٥ـ المعرب والدخيل لمصطفى المدني من علماء القرن الحادي عشر الهجري.

فأما الجواليقي والخفاجي فقد رتَّبوا الألفاظ على حسب حرفها الأول بصرف النظر من الأصالة والزيادة. وأما الباقون فقد رتَّبوا الألفاظ ترتيباً نطقياً بحسب أوائلها نطقاً، بصرف النظر عن الأصالة أو الزيادة. ثم رُتِّبت الألفاظ على الترتيب الألفبائي المعروف لنا، وإن خالف العذري نظامه في لفظ الجلالة (الله) فجعله في صدر كتابه. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ٧٥، ٨٧، ٨٨).

ويمكن لنا أن نأخذ من كتاب المعرب نموذجاً من باب الألف، فمما عالجه من الألفاظ في هذا الباب: أسماء الأنبياء نحو: إبراهيم – إسماعيل – إسحاق – إلياس – إدريس – إسرائيل – أيوب. ثم عرض للألفاظ التالية: آزر – الإستبرق – الأرَنْدَج – الأُبُلَّة – الإسْفَنْد ـ الإسفنطُ والإصفند وهى أعلى الخمر وأصفاها – الأرجوان، الأُرْبان – الإيوان – الأنبار – أبْرهةَ – أنوشروان ـ الإسوار – الآجُرُّ – إقليم – إبليس – إنجيل – الإبْزيم – الأُستاذ – أنقرة – الأطْربون (المقدم في الحرب) – أنْجَرُ السفينة. (انظر: المعرب للجواليقي ص١٣ – ٢٦).

ج ـ ما جاء خاصاً منها بأسماء البلدان وبعض الأعلام: فمن ذلك:

١ ـ معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (٥٧٤ – ٦٢٦هـ) وقد رتَّب كتابه ترتيباً نطقياً على أوائل نطق الألفاظ بصرف النظر عن الأصالة والزيادة، فقسَّمهُ إلى ثمانية وعشرين باباً على الترتيب الألفبائي المعروف وعرض فيه لأسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والمحالّ والأوطان، والبحار والأنهار والغُدْران والأصنام والأبداد والأوثان. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ١٦٦ ١٦٧).

٢ ـ معجم تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن يحيى بن شرف النووي المتوفَّى ٦٧٦هـ. فهو في قسم الأسماء يسير على الترتيب النطقي لأوائل الأسماء بصرف النظر عن الأصالة والزيادة. (انظر: تراث المعاجم الفقهية ص١٥٣).

د ـ ما جاء في تفسير غريب القرآن والحديث: فمن ذلك:

١ ـ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير. وهو معجم متخصص يقوم على مراعاة لفظ الكلمة وواقعها النطقي بصرف النظر عنْ الأصالة والزيادة تيسيراً على طلاب الحديث. وهو يُنَبِّه على أصول الألفاظ إفادة للطلاب وحتى لا يُنْسَب مؤلفه إلى الجهل. (انظر: معجمات العربية مادتها ومناهجها د. عيد الطيب ص٤٥٥، ٤٥٦).

٢ ـ غريب القرآن لأبي بكر السجستاني ت ٣٣٠هـ وقد رتَّب الألفاظ على الحرف الأول بحسب النطق دون مراعاة الأصالة والزيادة. (انظر: المهارات اللغوية ص٢٠٩).

٣ ـ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للإمام الحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني المتوفَّى سنة ٥٨١هـ. قال أبو موسى المديني في مقدمة كتابه مبيناً منهجه: " وخرَّجتُ كتابي على ترتيب كتاب أبي عُبيد، سواء بسواء، وسلكتُ طريقه حذو النعْل بالنعل في إخراج الكلم في الباب الذي يليق بظاهر لفظها، وإن كان اشتقاقها مخالفاً لها. . . " (المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ١/ ٣٦).

٤ ـ كتاب الغريبين لأبي عُبيد أحمد بن محمد الهروي المتوفَّى ٤٠١هـ، وهو أحد المراجع البارزة للمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني السابق ذكره. ويؤخذ من مقدمة أبي موسى أنه سار في كتابه هذا على نهج الهروي حذو النعل بالنَّعْل في ترتيب كتابه فأخرج الكلم في الباب الذي يليقُ بظاهر لفظها وإن كان اشتقاقها مخالفاً

لهـا. (انظـر: المجمـوع المغيث في غـريبي القرآن والحديث ١/ ٣٦). مما يجعلنا نُدرج كتاب الغريبين للهروى ضمن هذا القسم.

هـ - ما جاء لتفسير بعض الأبنية والأمثلة:

مـن هـذا الـنوع نُصادف كـتاب " سـفر الـسعادة وسفير الإفادة للإمام علم الدين أبى الحسن على بـن محمـد الـسخاوي (٥٥٨ - ٦٤٣هـ) وهو كتاب كبير الحجم يقع في ثلاثة أجزاء. جاء على ظاهر نطق الألفاظ على حروف المعجم.

فمن الألفاظ التي عالجها في باب التاء:

تَبَرْبُرٌ - تُبَشِّرٌ - توأم - تَتْفُل - تُبَّع - تَابَلٌ - تَتْرى - تَيِّقانٌ - تُرْتُبٌ - تحلئٌ - تَرْنَموتٌ - تَـدْورة - تـرعيبة... تحلـبة - تُـدْراً - تَسُرَّةٌ وتَضُرَّةٌ - تَمْتِينٌ - تَمَعْدُدٌ... (انظر: سفر السعادة ١/ ١٧١ - ١٨٤).

و - ما جاء لتصحيح كلام الخاصة والعامة وتقويم اللسان:

من ذلك نُصادف الكتب التالية:

١- تقـويم الـلسان للإمـام أبـى فـرج الجوزي (٥٩٧هـ = ١٢٠١م). وهو يُرتِّب الألفاظ في كتابه على ظاهر نطقها بصرف النظر عن الأصالة والزيادة فكلمة " استُهتر " لا تُطلب في " هـتر " وإنمـا تُطلَب في باب الألف. (انظر: مقدمة المحقق ص٢٣، ٢٤ من كتاب تقويم اللسان، وانظر مقدمة المؤلف ص٥٦).

وقـد اقتـصر ابـن الجـوزي في ترتيب ألفاظه على الحرف الأول وحده وأهمل ترتيب ما بعده من حروف. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ١١٠).

٢- تـصحيحُ التـصحيف وتحريـر التحريف لصلاح الدين خليل بن أيبك الصَفَدى (٦٩٧ - ٧٦٤هـ). وقد جاءت الألفاظ على الترتيب النطقي دون مراعاة للأصالة والزيادة على الترتيب الألفبائي المعروف.

ففـي بـاب الهمـزة والـباء المـوحدة نجـده قد عالج من بين ما عالج من الألفاظ ما يلي: الأب والأخ - الأَبـدُّ - الأَبْطَر - أبصَرْتُ - الإبط - أبهرنى الشيء أَبْطيتُ - أَبْكم الرجلُ - قِدْرٌ إِبْرام - أُبيع الثوبُ وأُزيد في ثمنه... (انظَر: تصحيح التصحيف ص٦٨ - ٧٦).

٣ـ خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، لعلى بن بَالى القسطنطيني المتوفّى سنة ٩٩٢ هـ. وقد رتّب المؤلف كتابه على حروف الهجاء جاعلاً لكل حرف باباً. ووضع الكلمات على أساس الحرف الأول من الكلمة بغض النظر عن الأصالة والزيادة وليس هنا ترتيب داخلي بعد الحرف الأول فلم يُراع ما بعده من حروف. (انظر: مقدمة المحقق للكتاب ص٧).

فمما عالجه المؤلف في " حرف الألف " : ابن – آل – اجلسْ – أجمع – الأزل والأزلية – إطريفَل – أرْض وأراضِ – الأرياح – أنْصَف من فلان – انضافَ الشيءُ إليه وانْفَسَدَ الأمر عليَه – الإباقة – أُم الغيلانَ. . . (انظر: خير الكلام ص١٣ – ١٩).

٤ـ " لفُّ القماط على تصحيح بعض ما استعمله العامة من العرب والدخيل والمولد والأغلاط " لصديق بن حسن خان القَنْوَجي المؤلَّف في عام ١٢٩٦هـ = ١٨٧٨م. تناول في الفصل الأول الكلمات المعربة والمولدة المفردة ورتَّبها ناظراً إلى أولها من غير الرجوع إلى الأصل بحذف الزائد، أما بقية فصول الكتاب ففيها اضطراب وتنوع في تناول المادة المعروضة فيها. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ١٠٨، ١٠٩).

ز ـ ما جاء لعلاج ظاهرة من ظواهر اللغة:

تحت هذا القسم جاءت مجموعة من الكتب منها:

١ـ المقصور والممدود لأبى على القالي ت ٣٥٦هـ. (انظر: المهارات اللغوية ص٢٠٩).

٢ـ المذكر والمؤنث لابن التَستُري الكاتب ت ٣٦١هـ. وقد قسّمه مؤلفه أبواباً على حسب حروف المعجم وجمع تحت كل حرف الكلمات المبدوءة بذلك الحرف، دون ترتيب هجائي داخلي للمواد. (انظر: المذكر والمؤنث لابن التستري ص٣٧ من مقدمة التحقيق).

ففي باب الميم عالج المؤلف الألفاظ التالية: المأق والمُوق – المتن – مِثْل – المحْجر – المسْك – المعْز – المعَي – المطر – مَنْ – المنجنيق – المَنْخر – المنون – المَنجنون – المِلْح – مُوسى. (انظَر: المذكَر والمؤنث لابن التسترى ص١٠٢ ـ ١٠٥).

٣ـ الألفاظ المهموزة لأبى الفتح عثمان بن جنى المتوفّى ٣٩٢هـ، وهو مرتب على حسب الحرف الأول من الكلم بصرف النظر عن الأصالة والزيادة دون مراعاة لما بعده من الحروف. (انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ١٢١).



٤- المعجم في بقية الأشياء لأبى هلال العسكري المتوفَّى ٤٠٠هـ. قال أبو هلال في مقدمة كتابه: " وقد نظمت ما ضمّنتُه إياه منها على نسق حروف المعجم، فبدأت بما كان في أوّله همزة، وأتبعتهُ بما كان في أوله الباء ثم كذلك إلى آخر الحروف. . . (انظر: المعجم في بقية الأشياء ص٤٣).

ويبدو من الكلمات التي عالجها في باب الهمزة وفى باب الميم – مثلاً – أنه لا يُراعى الأصالة والزيادة فيما يضمّنه الباب بحسب الحرف الأول. (انظر: المعجم في بقية الأشياء باب الهمزة ص٤٥ – ٥٣، وباب الميم ص١٤٦ – ١٤٩).

٥- المقصور والممدود لأبى البركات بن الأنباري المتوفَّى ٥٧٧هـ، وقد قسّمه مؤلفه إلى ستة أقسام رتّب الكلمات تحت كل قسم بحسب الحرف الأول من الكلمة دون مراعاة للأصالة والزيادة. (انظر: المهارات اللغوية ص٢٠٩).

٦- ما يُكتَب بالضاد والظاء والمعنى مختلف، ليحيى بن عمرو بن فهد المكي ت ٨٨٥هـ. لم يشرح المؤلف منهجه في مقدمة كتابه ويؤخذ من أبوابه أنه قسّمه على حروف المعجم وعالج تحت كل باب عرض له ألفاظاً رتّبها بحسب أولها نطقاً دون مراعاة للأصالة والزيادة. فهو يعالج في باب الألف ما يلى: الإظْراب والإضراب. وفى باب التاء: التظفير والتضفير والتقريظ والتقريض. (انظر: ما يكتب بالضاد والظاء ص٧٧، ٧٩، ٧٨).



خاتمة البحث:

يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي :

١ـ بروز أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في ظهور كثير من العلوم التي نشأت لخدمة هذين الأصليين حفاظاً على العربية بوصفها الوعاء الذي ينقل منهج الله إلى البشرية ، والنشاط المعجمي يمثل أحد هذه العلوم .

٢ـ ظهر النشاط المعجمي متدرجاً من الاستفسار عن بعض الألفاظ التي تخفى على بعض الناس إلى ظهور الرسائل اللغوية المفردة إلى ظهور المعاجم بنوعيها : معاجم الموضوعات ومعاجم الألفاظ.

٣ـ معاجم الموضوعات تصلح للأدباء والكتَّاب بوجه خاص ولا تُسعفُ الباحث في الوقوع على طِلْبته بسهولة ويسر وإنما عليه أن يُعمل حدسه في الوصول إلى ما يطلبه وقد لا يصادفه بعد طول بحث وبذل جهد .

٤ـ برزت صعوبة الترتيب للألفاظ على مخارج الأصوات وخاصة مع إعمال نظام التقاليب والأبنية ، مما يُصَعِّب الأمر على الباحثين المحدثين والطلاب في الاستفادة من هذه الجهود التي برزت في معجم العين ومن تابعه علة نظامه أو تأثر به .

٥ـ المعجميون العرب القدامى كانوا دائمي البحث للوصول إلى أسهل صورة تُرتب طبقاً لها ألفاظ العربية ومن هنا تطورت هذه الصورة من الصعب إلى السهل إلى الأسهل مروراً بمدرسة العين ثم مدرسة القافية ثم مدرسة الزمخشرى في الأساس .

٦ـ الجوهرى في تاج اللغة وصحاح العربية متأثر بخاله الفارابى في ترتيبه معجمه " ديوان الأدب " على أساس الأصل الأخير وليس هو مبتدع هذا النظام كما أشار في مقدمة التاج . بل إن هذا النظام قد سبقه إليه أبو بشر اليمان بن أبى اليمان (٢٠٠هـ ـ ٢٨٤هـ) في معجمه " التقفية " .

٧ـ اشتهر الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) بأنه صاحب مدرسة الترتيب الألفبائي على الجذر اللغوي باتخاذ الأصل الأول باباً ثم الثاني فصلاً مع مراعاة ما يليه مع أن الزمخشرى مسبوق في ذلك بأبي المعالي محمد ابن تميم البرمكى (ت ٤٣٣هـ) الذي تناول معجم الصحاح ورتَّبه على حروف الألفباء وزاد فيه أشياء قليلة .

٨ـ اتضح أن طريقة الزمخشرى في الأساس كانت أسهل صور الترتيب في معاجم العربية ومن هنا كُتب لها الذيوع والشيوع على أيدي المعجميين المحدثين فجاءت معاجمهم

مرتبة على أساسها كما ظهر في معاجم اليسوعيين ومعاجم الألفاظ التي أنتجها المجمع اللغوي بالقاهرة (المعجم الوسيط والمعجم الوجيز) وما يزال يُوالى إخراج المعجم الكبير .

٩ـ إمعاناً في السهولة والتيسير على مستخدمي المعاجم وخاصة الطلاب والمثقفين اتبع بعض المعجميين المحدثين ترتيب الألفاظ في معاجمهم على أساس نطق أوائلها بصرف النظر عن الزيادة والأصالة وبدأ هذا الاتجاه على استحياء في بداية القرن العشرين ثم انزوى ليعود نشيطاً في بداية النصف الثاني منه على أيدى المعجميين اللبنانيين .

١٠ـ اهتم كثير من دارسي المعاجم العربية القديمة بإبراز ما شاع فيها من عيوب بغية تلافيها في الأعمال المعجمية الحديثة لنصل إلى مستوى أرقى عند التأليف المعجمي الحديث على نحو ما تبدَّى في المعجم الوسيط لمجمع اللغة القاهري وما تمَّ إنجازه من المعجم الكبير ، وغير ذلك من المعاجم المتخصصة التي أنتجها المجمع .

١١ـ عثر الباحث على سبعة وعشرين كتاباً في تراث العربية اتبعت الترتيب النطقي على أوائل الألفاظ بصرف النظر عن الأصالة والزيادة ، يمكن اعتبارها أصولاً تراثية لهذا الضرب من الترتيب الذي انتشر في القرن العشرين وادّعى أصحابه أن هذا الترتيب وليد الصلة بالثقافة الغربية ومتابعة المعجمية الحديثة في الغرب أو ما سمّاه بعضهم بالطريقة الفرنجية في الترتيب .

١٢ـ بالنظر في السبعة والعشرين كتاباً التي وجدتها في تراث العربية ترتب الألفاظ على أوائل ما ينطق منها ترتيباً ألفبائياً أمكن توزيعها بحسب ما تعالجه على الموضوعات التالية :

١ـ معاجم اصطلاحية عامة .

٢ـ معاجم اصطلاحية خاصة .

٣ـ المعاجم الخاصة وتحت هذا القسم وجدتُ منه ما يلي :

أ ـ ما جاء في المشترك اللفظي .

ب ـ ما جاء في المعرب والدخيل .

ج ـ ما جاء منها خاصاً بأسماء البلدان وبعض الأعلام .

د ـ ما جاء في تفسير غريب القرآن والحديث .

هـ ـ ما جاء لتفسير بعض الأبنية والأمثلة .

و ـ ما جاء لتصحيح كلام الخاصة والعامة وتقويم اللسان .



ز ـ ما جاء لعلاج ظاهرة من ظواهر اللغة.

١٣ـ لم يشع هذا الترتيب النطقي الواقعي في معاجم الألفاظ قديماً لأنه يُفَرِّق أفراد المادة اللغوية الواحدة في أكثر من موضع مما يُضحي بعلاقة القُربى بين أفرادها ويذهب بترابط اشتقاقها. وهو ترتيب لا يُناسب العربية لأنها لغة اشتقاقية على عكس ما نجده في معاجم اللغات الأوروبية.

١٤ـ هذا النظام النطقي الواقعي يناسب معاجم المصطلحات ما كان منها عاماً أو خاصاً وما عالج موضوعاً خاصاً من موضوعات اللغة، أو اختص بتفسير ألفاظ كتاب معين أو نص محدد، لأن الأساس هنا هو اللفظ الذي تُطلب معرفته والكشف عنه بصرف النظر عن بقية أفراد مادته اللغوية.

١٥ـ الترتيب النطقي بصرف النظر عن الأصالة والزيادة ضارب بأصوله في تراث العربية مما يجعل من الظلم نسبة هذا النظام إلى التأثر بالثقافة الحديثة أو متابعة المعجمية الغربية أو المعاجم الفرنجية في طريقة ترتيبها الألفاظ. وفى هذا إشارة إلى ضرورة استيعاب تراثنا ومعرفته معرفة جيدة، فكم من مواضع جودة حواها التراث تحتاج إلى من يبرزها ويظهر سبق علمائنا القدامى دون تحيز إلى التراث أو انبهار بما ينتجه المحدثون.



مراجع البحث:

١ـ تراث المعاجم الفقهية في العربية، دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية، د. خالد فهمي – الطبعة الأولى، ايتراك للطباعة والنشر – القاهرة ٢٠٠٣م.

٢ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى، طبعة الخانجى – القاهرة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٣ـ التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ت ٨١٦هـ، تحقيق إبراهيم الإبيارى، طبعة دار الريان للتراث – القاهرة ١٩٧٨م.

٤ـ تقويم اللسان لابن الجوزى ت ٥٩٧هـ ـ تحقيق د. عبد العزيز مطر. الطبعة الثانية – دار المعارف – القاهرة – بلا تاريخ.

٥ـ خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، لعلى بن بالى القسطنطينى ت ٩٩٢هـ. تحقيق د. حاتم صالح الضامن – عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٦ـ سفر السعادة وسفير الإفادة لعلم الدين أبى الحسن على بن محمد السخاوى، تحقيق د. محمد الدالى. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧ـ الغريب المصنَّف لأبى عبيد القاسم بن سلاَّم ت٢٢٤هـ ـ تحقيق ودراسة د. رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ١٩٨٩م.

٨ـ فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب – الطبعة الثانية – مكتبة الخانجى – القاهرة ١٩٨٠م.

٨ـ فقه اللغة وسر العربية للثعلبي، تحقيق د. خالد فهمى – الطبعة الأولى – مكتبة الخانجى – القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٩ـ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى، تحقيق د. مهدى المخزومى والدكتور إبراهيم السامرائى، دار الرشيد – العراق ١٩٨٠م.

١٠ـ الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبى البقاء الكفوي – الطبعة الثانية – دمشق ١٩٨١م. نُشرت أجزاؤه من ١٩٨١م – ١٩٨٣م.



١١- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للإمام الحافظ أبى موسى محمد بن أبى بكر المديني الأصفهاني - تحقيق عبد الكريم الغرباوى - مطبوعات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٢- المذكر والمؤنث لابن التسترى الكاتب ت ٣٦١هـ. تحقيق د. أحمد عبد المجيد هريدى، الطبعة الأولى - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٣- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبى منصور الجواليقى - تحقيق وشرح أبى الأشبال أحمد محمد شاكر. الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

١٤- المعجم في بقية الأشياء لأبى هلال العسكري، تحقيق إبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى. الطبعة الأولى، دار الكتب بالقاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٤٣م.

١٥- المعجم العربي نشأته وتطوره. د. حسين نصار، الطبعة الثانية - مكتبة مصر - القاهرة ١٩٦٨م.

١٦- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.

١٧- معجمات العربية مادتها ومناهجها، د. عيد محمد الطيب - الطبعة الأولى، مطبعة الأمانة - القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٨- معجمات العربية، النظرية والتطبيق، د. عبد الحليم محمد عبد الحليم - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٨٥م.

١٩- المعاجم العربية دراسة تحليلية، د. عبد السميع محمد أحمد، طبعة دار الفكر العربى، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م.

٢٠- المعاجم العربية الحديثة بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير، إعداد ابتهال أحمد صلاح، كلية الآداب - جامعة عين شمس - ٢٠٠٣م.

٢١- المعاجم الأصولية في العربية، دراسة لغوية في النشأة والصناعة والمعجمية، د. خالد فهمي، الطبعة الأولى - القاهرة ٢٠٠٥م.

٢٢- المنجد في اللغة، أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي لأبى الحسن على بن الحسن الهنائى المشهور بكراع النمل ت ٣١٠هـ، تحقيق د. أحمد مختار عمر والأستاذ أحمد ضاحى عبد الباقي، طبعة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٢٣- المهارات اللغوية، ماهيتها وطرق تدريسها، د. أحمد فؤاد عليان - الطبعة الأولى - الرياض ١٤١٣هـ.



٢٤ـ ما يُكتب بالضاد والظاء ليحيى بن عمرو بن فهد المكي ت ٨٨٥هـ، مجلة معهد المخطوطات العربية – القاهرة، المجلد ٤٨، الجزآن ١، ٢ – ١٤٢٥هـ / مايو ونوفمبر ٢٠٠٤م.

